

الاسلام ميزان الحقائق والفرج

للدكتور ذكي مبارك

قوانين ، فسرى بعد لحظات معنى هذا من الوجهة الروحية ،
وهي منار الاعتراض
وأقرر أيضاً أن الماني الإسلامية المقبوسة من المسيحية
ليست سرقات ، حتى يعيرنا بها فريق من الناس ، وإنما هي
ميراث أخذناه باستحقاق ، لأن الإسلام ينص القرآن هو
الوارث لجميع الشرائع السارية ، والمؤلفون المسلمون ينقلون
أقوال سيدنا موسى وسيدنا عيسى باحترام ، تقرباً إلى الله ،
لأن الله أوصى سيدنا محمداً بإعزاز جميع الأنبياء والمرسلين
وإذا كان التصوف الإسلامي منقولاً عن أصول مسيحية
— ولنسلم جدلاً بهذا — فما كان التصوف مما اتفق عليه
جميع أئمة المسلمين ، فقد ناز عليه رجال من أقطاب الباحثين ،
وعدّوه خروجاً بالإسلام عن صيفته الأساسية ، وهي الصبغة
التشريعية

ومعنى هذا أن الهدية مردودة إلى مهديها الأول ، على فرض
أن التصوف هدية ، وعلى فرض أنه بعيد من الروح الإسلامي
اسموا يا أيها المجادلون بلا بصيرة وبلا يقين
أنتم اعترفتم بأن الإسلام يعرف العقل ولا يعرف الروح ،
بدليل أنه في نظركم ليس إلا مجموعة قوانين

وهنا الخطر كل الخطر ، الخطر عليكم لا عليه ، فالخطأ
في الحكم المدني أو الجنائي لا يحتمل الجدل ، لأن تقضه أسهل
من السهل ، بسبب ازتكازه على العقل ، فلو كانت القوانين التي
أداعها الإسلام واهية الأساس ، لثار عليه الشرعون في جميع
بقاع الأرض ، وعدّوه أسطورة بدوية منقولة عن سراب الصحراء
ولا كذلك الخطأ في الحكم الروحي لأن الحكم الروحي
غير محدود بمحدود ، فمن حق كل روحاني أن يسفّه من يخرجون
عليه ، بحجة أنهم معجوبون من الروح ، وذلك باب يدخل منه
الدخلاء والأصلاء على السواء

وإذن يكون الإسلام تحدياً لجميع الديانات ، تحداً بالمقل
قبل الروح ، تحداً بما لا يجوز فيه الخطأ ، وهو التشريع ،
تحداً بالنبى الأسمى ، ليعرف من لا يعرف أن وحى السماء فوق
إيجاء الكتاب

ماذا أقول ؟ هل بددت الشبهة ؟ وكيف والكلام إلى هنا



قلت مرة : إن
النضال بين الإسلام
والنصرانية أتاح
فرصاً كثيرة
لمباحث نفيسة
تفدّى القلوب
والعقول ، وتكشف
عن آفاق ما كان
يُنظر أن تُكشف
لو أراد الله أن
لا يقع ذلك النضال
والمجادلة لا تنم
إلا إن جندرت

عن سوء نية ، لأنها عندئذ تكون عملاً من أسوأ الأعمال ،
أما إن صدرت من رغبة في الفهم والتحقيق ، فهي عمل مقبول
دعا إليه جميع الحكماء في جميع البلاد

وأنا ماض في تبديد شبهة وجهت إلى الإسلام ألوف
المرات ، وسأقضى على تلك الشبهة قضاء مبرماً . سأقتلع
جذورها فلا تنبت بعد اليوم ، وسأقوض جدرانها فلا يقوم لها
بناء إلى آخر الزمان

فما هي تلك الشبهة ، ولا أقول التهمة ، ترفهاً بالمجادلين ؟
هي قولهم إن الإسلام شريعة مدنية ، وليس عقيدة دينية ،
فهو في نظركم مجموعة قوانين ، وليس ديناً يهتم بتأسيس الماني
الروحية في صدور المؤمنين

وزادوا فقالوا : إن الإسلام لم تشع فيه الروح إلا حين
عرف التصوف ، والتصوف في رأيهم زعة مسيحية المشرق ،
وليس لها في الإسلام أصول

وأسارع فأقرر أنه لا يضير الإسلام أن يكون مجموعة

يؤيد القول بأن الإسلام دين العقل ، وليس دين الوجدان ؟
أقترح الحديث فأقول :

إن التهمة صحيحة ، تهمة الإسلام بأنه لا يقصر اهتمامه على الشؤون الروحية ، وإنما يوزع اهتمامه على كثير من الشؤون العلمية والاجتماعية والمعيشية ، وهنا المطن الذي لا ينفع فيه علاج (١)

إسمعوا ، ثم اسمعوا ، يا أيها المجادلون

كل ما يعرف المسلمون من العلوم والفنون والآداب والقوانين ليس إلا وسائل لثاية صريحة هي خدمة القرآن ، والقرآن وحى من الله ، وبخدمة القرآن نتقرب إلى الله

علوم النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع علوم تساعد على فهم القرآن ، فهي وسائل أدبية لثاية دينية ، فنحن نتقرب بها إلى الله

وعلم الفقه ينظم المعاملات بين الناس ، ليعرفوا سبيل النجاة من غضب الله ، فنحن بعلم الفقه نتقرب إلى الله
وعلم الحساب يساعد على تحديد الأغراض الاقتصادية بين الناس ، فنحن بعلم الحساب نتقرب إلى الله

وعلم الفلك يساعد على تحديد المواقيت ، فنحن بإدراك دقاته نتقرب إلى الله

وعلم التاريخ يخلق العظة بالحوادث ، وقد رآه القرآن من وسائل الترغيب والترهيب ، فنحن بعلم التاريخ نتقرب إلى الله
لاموجب للاطناب ، ففي أول كل كتاب نجد الراجز يقول :

إن مبادئ كل فن عشرة الحمد والموضوع ثم الثمرة
إلى آخر ما قال ، ولا موجب للنص على أن علماء المسلمين لم يدركوا للعلم غاية غير خدمة الشريعة الإسلامية ، فذلك واضح في جميع مؤلفاتهم ، حتى علم الحساب . وقد راعى هذا المعنى أستاذنا محمد بك إدريس فنص عليه في مقدمة كتاب الحساب لطلبة الأزهر الشريف

جميع العلوم والفنون وسائل لخدمة الدين الإسلامي ، والتكسب أو التسبب له في الإسلام آداب ، مع أن الظاهر يوم أنه بعيد من الروح

كل خطوة تخطوها في صباحك أو مساءك ، لها في حياتك المعاشية صلات بحياتك الدينية ... بهذا يوصيك الإسلام ، لأنه دين العقل والروح

إن الحج وهو فريضة دينية ، أبحث فيه المنافع المعاشية ، لأن الله يرى أن جميع الفضائل وسائل إلى رفاهية المعاش وهل ننسى أننا نطيع الله لننعم بالفردوس ؟

المزية الصحيحة للإسلام هي دعوته إلى أن نسيطر على جميع بقاع الأرض ، لنحقق الصلة بيننا وبين الله بإقامة دعائم العدل فوق جميع البقاع ، ولنحقق إرادته السامية في أن تكون الكلمة العليا لله وللمؤمنين

مزية المسلمين أنهم لا يقابلون الله وجهاً لوجه ، كما يقوم المسيحيون ، وإنما يقابلونه في مخلوقاته من الأنهار والبحار ، والحيثة والناس ، والحقائق والأبطال

وأين الله ؟ هل رآه من يدعون أنهم أبناءه ، صادقين أو كاذبين ؟

المسلم هو الصورة الحقيقية للمؤمن

المسلم هو خليفة آدم ، وقد جعل الله آدم خليفة على الأرض ، وللأرض آداب لا تعرفها السماء ، لأن فيها تكاليف لم يسمع بها سكان السماء

المسيحي يخاطب الله في ذاته فيستريح ، والمسلم يخاطب الله في مخلوقاته فيتعب ، والقعب شارة الرجال

وأنا مسلم ، لأن الإسلام يوجب على أبنائه أن يذكروا الله في جميع الشؤون

أنا مسلم بالرغم مني ، لأنني لا أرى ديناً يفوق ما في الإسلام من تكاليف ، والتكاليف هي الأساس لتجربة أخلاق الرجال
أنا مسلم بالعقل وبالروح ، والدين عند الله هو الإسلام ، لأنه الصورة النهائية للحسن والصدق في التشريع

حاولت أن أرتب في الإسلام فلم أستطع ، حاولت بالعقل وبالروح في حدود ما أطيق ، وأين أنا مما أطيق ؟
الآن آمنت بأن الإسلام دين العقل والوجدان .

ذلك مبارك